العرب
الخميس 2020/07/23
السنة 43 العدد 11770

قصة مكرّرة لفتاة شعبية تبني نفسها من الصفر

«سلطانة المعز».. بناء درامي قوي تضيع حبكته أمام عصامية البطلة

صراع لا ينتهي بين تجار الآثار وسكان شارع المعز

مسلسل "سلطانة المعز" عمل فني مصري يملك عناصر صراع قوية بين عصابات الاتجار بالآثار وتهريب الأفارقة للاتجار بأعضائها، لكنه أضاعها في خضم التركيز على شخصية الفتاة الشعبية العصامية، التي تضحي من أجل إسعاد الآخرين، وتتعرّض لظلم الرجال وتنتقم منهم في النهاية.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

لم يخرج المسلسل المصري "سلطانة المعز" الذي تعيد عرضه بعض المحطات المصرية بعد انتهاء موسم رمضان، عن الدائرة التي تتحرّك في إطارها الفنانة غادة عبدالرازق خلال العقد الأخير، بقصة تكاد تكون معادة عن سيدة عصامية شعبية تبني نفسها من الصفر، وتقع فريسة لمطامع الرجال الذين ينسجون حولها شبكة عنكبوتية لاصطيادها، طمعا فيها كأنثى أو سعيا وراء أموالها، قبل أن تتحوّل من حمل وديع إلى ذئب ينتقم.

ويشبه تكرار الأدوار الرقص على حافة بئر عميقة، فمع أي خطأ قد ينزلق الفنان إلى داخل فوهة من الملل، والعزوف عن المشاهدة من جمهور ينتظر دائما الجديد، ولا يتقبل كثيرا الصورة النمطية، ويبقى الأمر مرهونا بمدى قدرة الفنان على إعادة إنتاج الشخصية ذاتها بطريقة أداء متجددة وتعبيرات متباينة.

وتؤدي غادة عبدالرازق في العمل دور "سلطانة"، وهي سيدة لم تكمل تعليمها تولت تعليم أشقائها حتى أصبح أحدهم محاميا شهيرا "سلام" (الفنان أحمد ماجد)، وبدأت رحلتها من الصفر من خلال مكان لبيع أرغفة الكبدة موروثة عن والدها، ثم طوّرتها حتى أصبحت محلات في شارع المعز الأثري بوسط القاهرة، قبل أن تقع في حب شخص شرير "نعيم" (الفنان محمود عبدالمغني) يجرّدها من ممتلكاتها ويزجّ بها في السجن بسبب اتهامها بسرقة الآثار.

إعادة إنتاج وتغليف

قدّمت غادة عبدالرازق الثيمة المرأة العصامية والمكافحة في الكثير من أعمالها بصورة أو بأخرى في "حدوتة مرة" و"زهرة وأزواجها الخمسة"، و"سمارة" و"مع سبق الإصرار" و"ضد مجهول" و"الخانكة"، ما يعرض شعبيتها للانفراط حبة تلو الأخرى من ناحية نسب المشاهدة.

ويتمحور مسلسل "سلطانة المعز"، الذي كتب قصته زياد إبراهيم، نجل الأديب إبراهيم عبدالمجيد، وأخرجه محمد بكير، على تقلبات حادة في العلاقة بين "سلطانة" و"نعيم" انتقالا من الحب والزواج إلى العداوة والقتل والنهب تحت وطأة التهديد بإيذاء عائلتها وقتل أمها وأبنائها، ثم خروجها للانتقام منه وأشقائه رموز الشر في العمل.

ويطرح العمل فكرة تهريب الأفارقة واستخدامهم في تجارة الأعضاء، وهي قصة صالحة لوحدها لحمل عامل كامل وغير مطروقة في الدراما المصرية، لكن تناولها تم بصورة عرضية دون عمق، فلا ذكر لكيفية تهريبهم من بلدهم والبلد الذي يتّجهون إليه، كأنه تمّ الزجّ بهم لصالح تطويل الأحداث وتوفير جانب من التشويق.

واقتصر السيناريو في تناوله للقضية على اكتشاف سلطانة رسالة على هاتف زوجها تفيد بأن فتاة أفريقية هاربة من القتل تتواجد في محيط أحد الأديرة بسيناء فتذهب للبحث عنها، لكن نعيم يكتشف الأمر فيلفّق قضية لراهبتي الدير، ويتخلّص من شقيقها سلام الذي اكتشف تورّطه في القضية، ويقرّر تكرار الأمر ذاته مع زوجته.

ويحمل العمل الكثير من عدم المنطقية حتى في لقطاته الأولى بذهاب الإعلامي عمرو الليثي بشخصيته الحقيقية لتسجيل حلقة مع سلطانة بمفرده دون مساعدين، ويعطي سيارته لشخص يبدو من هيئته أنه "بلطجي" كي يتولى حفظها، ويجد السيدة المقصودة بملابس شبه رسمية لا تشوبها بقعة واحدة تعمل بيدها في طهي الكبدة، رغم امتلاكها مقاهي وعقارات، وحتى التسجيل جاء ليلا وفي الظلام دون أدنى اعتبار لفكرة تصوير البرامج المسجلة التي تختار أفضل أوقات الإضاءة نهارا.

وامتد غياب المنطقية مع توالي الأحداث، بإظهار الحيل التكنولوجية الكثيرة لسلطانة التي لا تتماشى مع سيدة لم تكمل تعليمها لتكتشف الموقع الذي زاره شقيقها قبل مقتله عبر الإنترنت وتقتني جهاز تنصت على الهواتف، وتوقع بشبكة دولية تتاجر في الآثار والبشر، بمساعدة "حمدي" (الفنان محمود البزاوي) الذي يستأجر أحد مقاهيها.

تكرّر الأمر ذاته مع قضية تورّط "شمس" (الفنان محمد شاهين) في قتل أحد الملثمين بمسدسه الخاص، التي اعتبرها جميع المحامين مستحيلة، إذ لا تبدو أنها قضية من الأساس، فالملثم كان متورّطا في تفجير سيارة في المنطقة، وتم قتله في منطقة مشتركة بين مزرعة شمس وأخرى مملوكة لمشتبه به هارب من التحقيق ومتهم في قضايا دولية، وبراءته جاءت فقط لمجرد أن تقرير الطب الشرعي أثبت أن مصدر إطلاق النار كان من عدة أشخاص، وليس شخصا واحدا، دون اعتراض من النيابة التي لم تدفع بإمكانية أن يكون سلام قام بالقتل بمساعدة آخرين.

ويعلي العمل من عامل الصدفة بصورة فجة، فنعيم الثري مرتكب جميع الموبقات يذهب إلى حضرة صوفية ليتبرّع بمبلغ ضخم من المال، أملا في إنقاذ شقيقه، فيلتقي بشيخ صوفي يرفض تلقي الأموال ويطالبه بالتوجه لسلطانة التي تشترط معرفة قصته أولا وتصحبه لشقيقها المحامي، وفي الوقت ذاته تحضر الشرطة لنزع ابنها بالتبني "جابر" بزعم تعرضه للتعذيب فيفشل شقيقها في إقناع الشرطة، بأن يبيت عندها ويتوجه صباحا للنيابة، وينجح نعيم وتبدأ قصة الحب في التشكل.

أحداث بطيئة

اتسم العمل في ثلثه الأول بوتيرة متسارعة في الأحداث. لكنه فقد بريقه منذ الحلقة العاشرة، مع منح مساحات لشخصيات ليس لها أي دور مثل "كريمة" (الراقصة دينا) التي ليس لها دور في الصراع سوى صداقتها مع البطلة ومساعدتها في مشروعها، وكذلك الحال بالنسبة لشخصية "تحسين" (الفنان الراحل حسن حسني) التي لم تظهر سوى في دقائق معدودة من بينها لقطة صامتة في الحلقة الثانية.

وربما يحمل العمل قدرا من الإسقاط السياسي على فكرة الأوطان بتصوير شارع المعز كوطن ضارب في القدم يحارب سكانه الطيبون الأشرار الوافدين إليه الراغبين في نهب ثرواته وآثاره، وفرض سيطرتهم بالحيلة أو بالاستقطاب أو حتى بالجنس، والاعتماد على الشائعات التي غيّرت من قناعات سكانها إزاء سلطانة والأعمال الخيرية التي تقوم بها لصالح تصديق فكرة تجارتها بالآثار.

> غادة عبدالرازق قدّمت ثيمة المرأة العصامية المكافحة في الكثير من أعمالها الدرامية، ما عرض شعبيتها للتراجع من حيث نسب المشاهدة

> فكرة تهريب الأفارقة واستخدامهم في تجارة الأعضاء تعد جديدة على الدراما المصرية، لكن العمل تناولها بسطحية

وتخدم أسماء الأبطال تلك الفرضية على المستوى النظري فاسم سلطانة التي تفرض سلطتها على شارعها أو مملكتها المصغرة، وتتعرض لفقدانها من نعيم سارق النعمة، رمز المحتل الغاشم الساعي لنهب الثروة وشقيقه سلام، المنبثقة من لفظ سلام، الذي يرتكب الشرور في الظل، وكان مساعدا في جرائم القتل والاتجار بالبشر. لكنه في الوقت ذاته يختفي تحت ستار من الطيبة والهدوء.

وفي المقابل، لم تشتغل القصة بالشكل الجيد على تلك النقاط ولم تتطرّق لأحوال الحارة الشعبية لمنح الإسقاط نوعا من العمق المطلوب ومساحات لخلق الرابطة المقصودة.

تقول الناقدة ماجدة خيرالله لـ"العرب"، إن المسلسل لم يترك صدى جماهيريا في عرضه الأول، ولم يجذب الجمهور للمشاهدة إلاّ بصورة طفيفة، وبعض المشاهدين لم يسمعوا به من الأساس، حتى الأزمة التي وقعت فيها بطلته مع ناقد شهير (طارق الشناوي) ربما كان هدفها في المقام الأول جذب الانتباه للعمل.

وأثارت غادة عبدالرازق أزمة مع الشناوي الذي انتقد نوعية الأعمال الفنية التي تشارك فيها، وقال إنها تتم بشكل عشوائي دون اختيار دقيق رغم الموهبة الفنية الكبيرة التي تمتلكها، وردّت الممثلة باتهامه بأنه يتلقى أموالا للكتابة عن أعمال بعينها بصورة جيدة ونشبت أزمة انتهت باعتذار الفنانة عن تصريحاتها.

وتضيف خير الله أن "سلطانة المعز" جاء في موسم يتضمن منافسة نسائية شرسة مع سبع فنانات في أعمال متباينة، بعضها استطاع حجز مكانة مع الجمهور، وصمّمت بطلته على أنه حقّق جماهيرية، لكن ردود الأفعال على مواقع التواصل الاجتماعي التي تمثل بالون اختبار للعمل لم تذكره من قريب أو بعيد بما يدل على غياب تأثيره.

«طهران» دراما إسرائيلية تخترق إيران بالقوة الناعمة

يحكي المسلسل الإسرائيلي "طهران" الذي سيعرض قريبا على منصة "أبل تي.في" للبث التدفقي، قصة تامار رابينان وهي عميلة شابة في الموساد الإسرائيلي يسند إليها مهمة اختراق وتعطيل مفاعل نووي إيراني حتى يتمكن الجيش الإسرائيلي من شن غارة جوية، لكن عندما تسير المهمة بشكل خاطئ، تصبح العميلة شاردة، وتقع في حب ناشط محلي مؤيد للديمقراطية ويعيد اكتشاف جذورها الإيرانية في مدينة ولادتها.

القدس – يستوحي كاتب مسلسل "طهران" التلفزيوني الإسرائيلي فكرته من التوتر وحالة العداء المستشرية بين إسرائيل وإيران، مقدما للجمهور قصة عميلة استخبارات إسرائيلية تذهب إلى إيران لاختراق مفاعل نووي. وسيعرض المسلسل الإسرائيلي عبر منصة "أبل تي.في" للبث التدفقي.

ويروي المسلسل قصة الجاسوسة الإسرائيلية تمار رابينان اليهودية من أصل إيراني، والتي يرسلها الموساد في أول مهمة لها إلى العاصمة الإيرانية؛ حيث تغادر تل أبيب ومنها إلى الهند، وهناك تتقمص هوية مسلمة متشددة دينيا تمهيدا للدخول إلى طهران، لتساعد سلاح الجو الإسرائيلي في قصف أهداف تتعلق بالمشروع النووي الإيراني.

ويحاول مسؤول إيراني لا يعرف هويتها الحقيقية اغتصابها فتُضطر لقتله، وبالتوازي مع ذلك يكشف مسؤول قسم التحقيقات في الحرس الثوري هوية الجاسوسة، وفي تلك اللحظة تتسارع الأحداث التي ستواجهها تمار لوحدها، إلى أن تقع في عشق ناشط إيراني مناهض للنظام، تعرفت عليه بعد أن لجأت إلى عمتها التي اعتنقت الإسلام. ورأت صحف في إيران أن المسلسل الإسرائيلي هذا "دعاية صهيونية".

ومع أن فكرة حصول تعاون إسرائيلي – إيراني في مسلسل تلفزيوني أو في أي مجال آخر، غير واردة بتاتا في الوقت الراهن، إلا أن مؤلف المسلسل موشيه زوندر يقول إن العمل عبارة عن "إنتاج ثقافي مشترك".

ويوضح زوندر "نتحدث الفارسية أكثر من العبرية في مسلسل طهران، لذا يروق لي أن أصنف المسلسل على أنه إسرائيلي – إيراني إلى حد ما، مع أن ذلك غير رسمي".

ويؤكد الكاتب أن الشعبين الإيراني والإسرائيلي "يمكن أن يكونا أصدقاء لولا القادة الذين يخيفون مواطنيهم ويثيرون الكراهية من أجل البقاء في السلطة".

ويضيف كاتب العمل أن بطلة المسلسل نيف سلطان درست الفارسية لمدة أربعة أشهر تحضيرا لدورها كيهودية مولودة في إيران ترسل في مهمة سرية إلى هذا البلد. ويشارك في العمل أيضا الممثلان المولودان في إيران نويد نغبان وشون توب. وعلى صعيد آخر، يؤكد زوندر أن "وضع امرأة في صلب حبكة مسلسل الحركة الجديد هذا كان قرارا سياسيا".

ويوضّح "أردنا أن نرى ما ستكون خيارات امرأة موهوبة لكن عديمة الخبرة، في عالم يحكمه رجال بعد فشل قادتها"، وهو يشدّد على أن "هذا مسلسل نسوي بامتياز".

ويأمل منتجو "طهران" أن يحقّق المسلسل النجاح العالمي نفسه الذي ناله مسلسل "فوضى" حول عملاء استخبارات إسرائيليين أيضا.

وألّف مسلسل "فوضى" موشيه زوندر أيضا ويتناول النزاع الإسرائيلي الفلسطيني ناقلا عنه مشاهد قاسية ومعطيا وفق بعض النقاد بعدا إنسانيا لشخصياته سواء كانت إسرائيلية أو فلسطينية. في المقابل انتقده البعض الآخر لكونه منحازا ويمجد العملاء الإسرائيليين.

وحقق "فوضى" رغم اعتماده على اللغتين العبرية والعربية اختراقا على صعيد استقطاب جمهور عالمي من خلال عرضه عبر منصة "نتفليكس".

واشترت شبكة "أبل تي.في" للبث الرقمي حقوق عرض المسلسل المكون من ثماني حلقات، وتم عرضه باللغات العبرية والإنجليزية والفارسية لأول مرة في 22 يونيو الماضي داخل إسرائيل.

ويجمع نقاد فنيون على أن حرب المسلسلات بدأت تستعر أكثر ممّا كان سائدا في السنوات الماضية، بعد أن اكتشفت العديد من الأنظمة أن سلاح "الحرب الناعمة" في المادة الدرامية تمتلك تأثيرها في عالم رقمي مفتوح على نشر أفكارها الأيديولوجية.

وبينما ركّزت إيران على الدراما التاريخية التي تتحدّث عن أفكار طائفية وقصص دينية غيبية، اختارت تركيا الدراما التي تظهر التاريخ عثمانيا صرفا للتأثير على العالم العربي، وفضلت إسرائيل ومصر التركيز على الدراما المخابراتية والحربية.

> المسلسل الإسرائيلي يعرض قصة عميلة استخبارات إسرائيلية تذهب إلى إيران لاختراق مفاعل نووي

وبطلة مسلسل "طهران" الرئيسية نيف سطان والمخرج داني سركين قدما إلى التمثيل من عالم الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي، وكلاهما عمل سابقا في وحدة النخبة 8200 التي يطلق عليها "الموساد الصغير".

وصوّر المسلسل الذي أنتجته شبكة التلفزيون الإسرائيلي العامة "كان" في العاصمة اليونانية أثينا بسبب تشابه ملامحها مع العاصمة الإيرانية.

ويقول عضو "جمعية اليهود الإيرانيين في إسرائيل"، يوسي سيفان، إن المسلسل رغم تصويره في العاصمة اليونانية "يعطي الانطباع بأنه صور في طهران".

وانتقل هذا الرجل السبعيني إلى إسرائيل عندما كان في العشرين من عمره، لكنه يقول إن صور ضواحي طهران حيث أمضى طفولته بقيت محفورة في ذهنه.

وانتقل عشرات الآلاف من اليهود الإيرانيين إلى إسرائيل منذ قيامها في العام 1948، لكن لا تتوافر أرقام رسمية محددة عن عددهم الفعلي.

ويقول سيفان بتأثر إنه عاد إلى طهران مرة واحدة منذ غادرها "عندما كان ذلك ممكنا".

وجمعت إسرائيل وإيران علاقات دبلوماسية في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، لكن مع قيام الثورة الإسلامية العام 1979 ووصول روح الله الخميني إلى السلطة، أصبح ذلك من الماضي.

ويتمحور التوتر بين البلدين في السنوات الأخيرة خصوصا على ملف إيران النووي، إذ تسعى إسرائيل جاهدة لمنعها من امتلاك أسلحة نووية بينما يتوعّد المسؤولون الإيرانيون الدولة العبرية بتدميرها.

وفي إيران، انتقدت صحيفة "كيهان" المحافظة المسلسل معتبرة أنه "يحاول أن يقدّم نظام التجسّس الصهيوني على أنه قوي جدا بحيث يجول الجواسيس الإسرائيليون بحرية في إيران".

وأضافت "فيما توقّفت إيران عن إنتاج أفلام ومسلسلات مناهضة لإسرائيل، وضع النظام الصهيوني سلسلة إنتاج مناهضة لإيران".

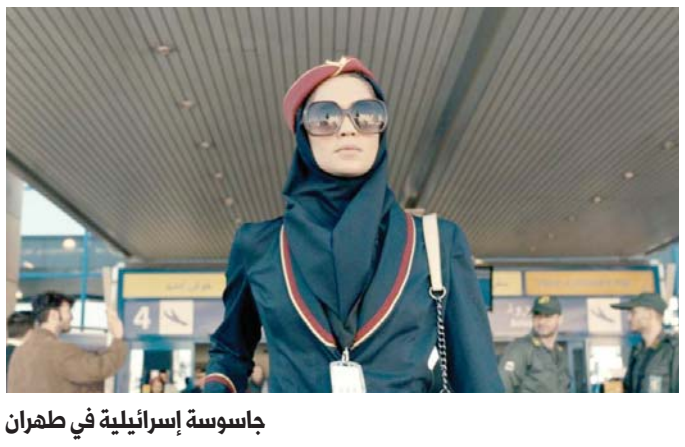

جاسوسة إسرائيلية في طهران